

الدكتور محمد الوادي
مستر الأدب المغربي وجدلية الإبداع والنقد
الفصل الثاني/ 2019 - 2020
مادة مقاربة لسانية لإيقاعات الشعر العربي

الأبنية المقطعية للقوافي في القصيدة العمودية

1. تعريف القافية في القصيدة العمودية

القافية في اصطلاح الخليل هي: " عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول"¹ ويستفاد من هذا التعريف، أن القافية في القصيدة العمودية، هي ما يقع بين المقطعين الثقيلين الأخيرين في البيت الشعري، فالمراد بالمتحرك الذي قبل الساكن الأول، أي أن المقطع الثقيل الأول الذي تبدأ به القافية يبدأ بساكن (= صامت)، و ينتهي بأخر تتوسطهما حركة، كنا في قول امرئ القيس:²

قَ مَا نُكِّ منِ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَتَرَلِ بِسَقَطِ اللَّوَى بينِ الدَّخُولِ فَحَوَّلِ

فالمقطعان الثقيلان اللذان يمثلان القافية في هذين البيتين واردان في كلمتي: حَوَّلِ و فُلْمَطَلِ، كما في هذا التحليل المقطعي:³

ح م ل ي ف ل ف ل ي
[س ح س ح س ح س ح س] [س ح س ح س ح س ح س]

¹ نفلا عن الدماميني، الغامزة، ص. 238.

² الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 72.

³ نستعمل الرمز المزدوج (# #) للدلالة على حدود القافية في البيت الشعري.

وقد اختلف العروضيون القدامى في تحديد حدود القافية، فقد ذكر عبد الملك الأسفراييني اثنا عشر قولاً في هذا الموضوع،⁴ من بينها قول للأخفش يحصر القافية في الكلمة الأخيرة في البيت، مثل كلمة: حَمَلٍ، في مطلع قصيدة امرئ القيس، قال: "اعلم أن القافية آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام."⁵ و قد اعترض على هذا القول، فذهب بعض العروضيين، من بينهم الخليل، إلى أن القافية قد تتجاوز حد الكلمة الواحدة إلى جزء من كلمة أخرى قبلها، كما هو الحال في قول العجاج:⁶

قَدْ جَرَّ الدِّينَ الإِلهَ فَجَجَرَ

فالقافية هنا، تبدأ من المقطع الثقيل الأخير الذي في آخر كلمة الإلاه⁷ وتنتهي بالمقطع الثقيل الذي تنتهي به كلمة: فَجَجَرَ، كما هو مبين في التمثيل العروضي والمقطعي:⁷

[لاَ اَهُ # فَ جَ بَ رَ #]	البناء العروضي:
[س ح س س ح . س ح . س ح س س #]	البناء المقطعي :
[ث . خ . خ . خ . ث . #]	القافية :

وقد تتكون القافية من كلمتين منفصلتين متجاورتين في آخر البيت، قال الدماميني:⁸ "ثم القافية عند الخليل قد تكون ... كلمتين كقوله:⁸

كجلمود صخر حطه السيل من علٍ

⁴ الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 33-36.

⁵ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 1.

⁶ الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 34، والونفي بمعرفة القوافي للأصبحي، ص. 58.

⁷ حيث تمثل للقافية بما يوجد من مقاطع بين المعقوفتين: [...]، و تمثل لحد الكلمة، كما في الصوارة التوليدية، بالرمز (#)، و لحد القافية بالرمز: (# #).

⁸ الغامزة، ص. 241، والشاهد هو عجز بيت لامرئ القيس، يقول في صدره: مكر مفر مقبل مدبر

فكافية هذا البيت تتكون من كلمتين هما: مُنْ، و: عَلِي، والكلمتان معا تشكلان نوعا من القوافي في الشعر العربي يسميه العروضيون **كافية المتدارك**، وهي كل قافية تبدأ بمقطع ثقيل، وتنتهي بآخر، يفصل بينهما مقطع خفيف، وهو ما يمكن أن نمثل كالتالي:

البناء العروضي : [م - ن # ع - ل - ي # #]
 البناء المقطعي : [س ح س . س ح . س ح س # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

وقد تكون القافية جزءا من كلمة فقط، كما في قول امرئ القيس أيضا:

:

ويَلوي بأثواب العنيف المثلّ

فالقافية في هذا البيت هي بعض من كلمة المثلل، كما هو مبين في هذا التحليل العروضي والمقطعي لهذه الكلمة:

البناء العروضي : # ل م ء [ث - ق - ق - ل - ي # #]
 البناء المقطعي : [س ح س . س ح . س ح س # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

وبناء على ما تقدم، لا يمكن أن نبنى حدود القافية في الشعر العمودي على مفهوم الكلمة كما ذهب إلى ذلك الأخفش، وإنما على مفهوم المقطع الغائب في تعريف العروضيين القدامى للقافية، وانطلاقا من هذه الوحدة البروزودية (prosodic unit) التي هي المقطع (syllable) في الصواتة البروزودية (prosodic phonology)، فإننا نعتبر القافية في القصيدة العمودية هي كل ما يوجد من مقاطع خفيفة بين المقطعين الثقيلين في آخر البيت، مع الإشارة إل نوع ثان من القوافي من القوافي، يبدأ بمقطع ثقيل وينتهي بمقطع مديد، تسمى في اصطلاح العروضيين القدامى **قافية المترادف**، وسناقش شرعية هذا النوع من القوافي في الشعر العربي في آخر هذا البحث.

2. أنواع القوافي في القصيدة العمودية

على الرغم من اختلاف الأوزان التي تأتي عليها القوافي في القصيدة العمودية، فقد حصر العروضيون هذه الأوزان في خمسة أنواع من القوافي، قال الأخفش في باب عِدَّة القوافي: " وهي ثلاثون قافية يجمعها خمسة أسماء: مُتَكَوَسٌ، مُتَرَكَبٌ، مُتَدَارِكٌ، مُتَوَاتِرٌ، مُتَرَادِفٌ." ⁹ وسنبن في هذا التحليل المقطعي للقوافي في الشعر العربي، أن هذا الترتيب لأنواع القوافي يتعلق بما يفصل بين المقطعين الثقيلين من مقاطع خفيفة، حيث يبلغ عدد هذه الأخيرة ثلاثة في قافية المتكاوس، ومقطعان خفيفان في قافية **المتراكب**، ومقطع خفيف واحد في قافية المتدارك، إلى أن يتجاوز المقطعان الثقيلان بدون فاصل في قافية المتواتر، أو تبدأ القافية بمقطع ثقيل وتنتهي بمقطع مديد، كما هو الحال في قافية المترادف.

2.1. البناء المقطعي لقافية المتكاوس:

قال الأخفش: " فللمتكاوس منها واحدة، ¹⁰ وهي كل قافية توالى فيها أربع متحركات بين ساكنين، وذلك فَعَلَتُ نُنْ، أربعة أحرف متحركة بين نونها ونون الجزء الذي قبلها." ¹¹ أي: أن بين نون المقطع الثقيل الذي ينتهي به الجزء: مُسْتَفْعِلُنْ ونون فَعَلَتُنْ ¹² أربعة صوامت متحركة، وبعبارة أخرى: المتكاوس هو كل قافية يوجد فيها ثلاثة مقاطع خفيفة بين المقطعين الثقيلين للقافية، ويمكن أن نمثل لذلك كالتالي: ¹³

⁹ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 8.

¹⁰ يريد الأخفش بواحدة: تفعلة واحدة وهي هَفَاخَ لَمَتُنْ.

¹¹ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 8. ولم يحدد الأخفش الجزء الواقع قبل فَعَلَتُنْ، ولكنه أشار إلى أنه محتوم بسبب خفيف، أي:

(نُنْ)، وقد اخترنا نفس الجزء في تحديدها لهذا النوع من قوافي المتكاوس المركب من جزأين.

¹² جاء في الوافي بمعرفة القوافي للأصمعي (ص. 58) أن قافية المتكاوس لا تظهر إلا في الرجز عندما تأتي فَعَلَتُنْ بعد مستفعلن،

وهذا يعني أن قافية المتكاوس تكون بين تفعلتين، وليس تفعلة واحدة، كما قد يفهم من تعريف الأخفش لها.

¹³ يشير الرمز (#) إلى أول الجزء، والرمز المزدوج (##) إلى حد القافية، وما يوجد من مقاطع ثقيلة وخفيفة بين المعقوفتين:

[...] هو الذي يحدد نوع القافية.

قافية المتكاوس في: مُسْتَفْعَلُنْ # فَعَلَتْنِ

الوزن : مُسْتَفْعَلُنْ فَعَلَتْنِ

البناء العروضي: # م _ س _ ت _ ف _ ع _ ل [ل _ ن # ف _ ع _ ل _ ت _ ن # #]

البناء المقطعي : [س ح س # س ح . س ح . س ح . س ح س # #]

القافية : [ث . خ . خ . خ . ث . # #]

ومن أمثلة قافية المتكاوس أيضا، قول [الرجز]:¹⁴

وَثَقَلِ مَدَّعَ خَيْرِ طَلَبٍ وَعَجَلِ مَدَّعَ خَيْرِ تُوَدِّهِ

ويمكن أن تمثل للبناء العروضي والمقطعي لهذه القافية على هذا النحو:

البناء العروضي: # خ _ ي _ ر _ # ت _ ء _ د _ ه _ # #

البناء المقطعي : [س ح س س ح . س ح . س ح . س ح س # #]

القافية : [ث . خ . خ . خ . ث . # #]

ويتضح مما تقدم، أن قافية المتكاوس، تظهر في القصيدة العمودية في قافية البحر الرجز، وأنها تقع بين حشو وضرب المصراع الثاني، وأن الجزء الأخير من هذا البيت يأتي محبولا على وزن: فَطُنْ، حيث يتتابع ثلاثة متحركات، وليس أربعة كما زعم الأخفش، وأن هذه المتحركات تشكل ثلاثة مقاطع خفيفة، تفصل بين المقطعين الثقيلين لهذه القافية، الأول هو: [ل _ ن] من مستفعلن الواقع حشوا، والثاني هو: [ل _ ن] من: فَطُنْ في الضرب. ويبقى السؤال هو: ما علاقة هذه الخصائص العروضية والمقطعية بمصطلح « متكاوس » عند العروضيين؟

2.2. البناء المقطعي لقافية المتراكب:

قال الأخفش: " وللمتراب أربع. وذلك كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين نينيه كوهي فاعلُنْ، ففتَعِ لُنْ فَعِ لُنْ، لأن في فَعِ لُنْ نونا ساكنة، وآخر الجزء الذي قبله نون ساكنة، وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو: فَعُ وُلْ فَو، اللام الآخرة ساكنة، واللام في فَعُ وُلْ متحركة." ¹⁵

¹⁴ الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 71.

¹⁵ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 8.

ويتضح من خلال الأوزان التي مثل بها الأخفش لهذا النوع من القوافي، أن المترابك هو كل كل قافية يوجد فيها مقطعان خفيفان بين مقطعين ثقيلين، و تظهر هذه القافية سواء في الأوزان المفردة، أو بين الأوزان المركبة:

2. 2. 1. هناك وزنان مفردان لقافية المترابك هما: مُفَاعَلَتُنْ، مُفْتَعَلُنْ، حيث تبدأ القافية في كل واحد منهما بمقطع ثقيل مفتوح في: مُفَاعَلَتُنْ، ومغلق في مُفْتَعَلُنْ، وتنتهي بمقطع ثقيل مغلق في كليهما، ويفصل بين المقطعين الثقيلين مقطعان خفيفان، وهو ما يمكن أن نمثل له كالتالي:¹⁶

2. 2. 1. قافية المترابك في: مُفَاعَلَتُنْ.

الوزن : مُفَاعَلَتُنْ

البناء العروضي : # م _ ف _ ع _ ل _ ت _ ن # #

البناء المقطعي : # س ح . [س ح ح س ح س ح س ح س ح س]

القافية : [ث . خ . خ . ث . # #]

ومن الشواهد الشعرية لهذه القافية، قول الشاعر:¹⁷

لقد عَلِمَتْ ربيعةٌ أَنَّهُ - نَجَلَكِ وَاهِنٌ خَلِقُ

هذا البيت من مجزوء الوافر، ويمكن أن نمثل لقافيته على النحو التالي:

البناء العروضي : # م _ ن _ خ _ ل _ ق _ ن # #

البناء المقطعي : # س ح . [س ح س س ح س ح س ح س ح س]

القافية : [ث . خ . خ . ث . # #]

2. 2. 1. قافية المترابك في: مُفْتَعَلُنْ.

الوزن : مُفْتَعَلُنْ

البناء العروضي : # م _ ف _ ت _ ع _ ل _ ن # #

البناء المقطعي : # [س ح س س ح س ح س ح س ح س]

القافية : [ث . خ . خ . ث . # #]

¹⁶ القافية هي ما يوجد من مقاطع بين معقوفتين، هنا وفي باقي التحليلات المقطعية الواردة في هذا البحث.

¹⁷ الغمزة للدمايني (ص. 156). و كتاب القوافي للإبيلي (ص. 93).

ومن شواهد هذا الوزن من أوزان قافية المترابك، قول شاعر مجهول:¹⁸

لا يُسَلِّمُونَ الغداة جَاهُهُمْ حتى يَزُلُّ الثَّوَاكُ عن قَلَمِهِ

فالبيت من المنسرح، حيث جاء الضرب مطويا، والقافية هي: (عَنْ قَلَمِهِ) التي يمكن أن تمثل لبنائها العروضي والمقطعي على النحو التالي:

البناء العروضي: / ع _ ن # ق _ د _ م _ ه # # /

البناء المقطعي: [س ح س # س ح س ح س ح س ح س # #]

القافية: [ث . خ . خ . ث . # #]

2.2.2. وهناك وزن مركبان لقافية المترابك: الأول يتعاقب فيه الجزءان $\text{لُ مَن} \# \text{لُ مَن}$ ، حيث تبدأ القافية بمقطع ثقيل مغلق وتنتهي بآخر، والثاني فيه تعاقب بين: $\text{فَعُول} \# \text{فَعُول}$ ، حيث تبدأ القافية بمقطع ثقيل مفتوح وتنتهي بمقطع ثقيل مغلق، وفي كلا النوعين هناك مقطعان خفيفان يفصلان بين المقطعين الثقيلين اللذين يشكلان أول وآخر قافية المترابك، وهو ما يمكن أن نمثل له كالتالي:

2.2.2.1. قافية المترابك في: $\text{فَعَلُن} \# \text{فَعَلُن}$.

الوزن: $\text{فَعَلُن} \quad \text{فَعَلُن}$

البناء العروضي: # ف _ ع _ [ل _ ن # ف _ ع _ ل _ ن # #]

البناء المقطعي: س ح س ح . [س ح س # س ح س ح س ح س ح س # #]

القافية: [ث . خ . خ . ث . # #]

ومن الشواهد الشعرية لقافية المترابك في هذا السياق، قول زهير بن أبي سلمى [البسيط]:¹⁹

بَانَ الخَلِيطُ ولم يَأوُوا لَمَنْ تَرَكَوَا وَرَوَدُوكَ اشْتِيَاقاً أَيَّةً سَلَكَوَا

ويمكن أن نمثل صوريا لقافية المترابك الواردة في هذا البيت على هذا النحو:

البناء العروضي: / ت _ ن # س _ ل _ ك _ ل _ # # /

البناء المقطعي: [س ح س # س ح س ح س ح س ح س # #]

القافية: [ث . خ . خ . ث . # #]

¹⁸ عبد الوهاب الزنجاني، معيار النظار في علوم الأشعار، (ص. 99).

¹⁹ الكافي الوافي بعلم القوافي، (ص. 72). و انظر شواهد مماثلة في الكافي الوافي بعلم القوافي للأسفراييني (ص. 70)، والوافي بمعرفة

القوافي للأصبحي، ص. 60.

2.2.2.2. قافية المترابك في فَعُولٌ # فَعُلٍ.

الوزن : فَعُولٌ فَعُلٍ

البناء العروضي: # ف _ ع _ ل _ ل _ # ف _ ع _ ل _ #

البناء المقطعي: [س ح . س ح . س ح . س ح # س ح . س ح س #]

القافية : [ث . خ . خ . ث . #]

و من شواهد هذا السياق الرابع من قافية المترابك، قول الشاعر:²⁰

دَعَوْنَا بِهِ الْوَحْشَ فِي سُرْبِهِ فَأَصَمَّهُ مَنَا زِمَاةٌ تُعَلِّ

فالبيت من المتقارب، وقد جاء ضربه مقصوراً، ويمكن أن تمثل للبناء المقطعي لقافية المترابك في هذا السياق على النحو التالي:

البناء العروضي: [م _ _ # ت _ ث _ ع _ ل _ #]

البناء المقطعي: [س ح ح # س ح . س ح . س ح س #]

القافية : [ث . خ . خ . ث . #]

ونستنتج مما تقدم، أن قافية المترابك، تبدأ بقطع ثقيل مغلق أو مفتوح، وتنتهي بقطع ثقيل مغلق، بينهما مقطعان خفيفان، سواء كانا في نفس الجزء كما في: *فَاعْلَتُنْ، فُفْوَعِ لِمَنْ،* أو بين جزأين، كما في *فَعِ لِمَنْ فَعِ لِمَنْ،* و *فَعُولٌ فَعُلٍ.* وانطلاقاً من هذه السياقات الأربعة، يمكن أن تمثل للبناء المقطعي لقافية المترابك، على هذا النحو:²¹

البناء المقطعي لقافية المترابك:

[س ح س # س ح . س ح . س ح س #]

[س ح ح # س ح . س ح . س ح س #]

[س ح س . س ح # س ح . س ح س #]

[س ح ح . س ح # س ح . س ح س #]

[ث . خ . خ . ث . #]

²⁰ كتاب القوافي للإربلي، (ص. 94).

²¹ ويشير الصفر أسفل الرمز: (#0)، إلى أن حد الجزء لا يظهر عندما تقع القافية داخل نفس الجزء، كما في: *فَاعْلَتُنْ، فُفْوَعِ لِمَنْ،* وإنما يظهر هذا الحد عندما تقع القافية بين جزأين متتاليين، كما في *فَعِ لِمَنْ فَعِ لِمَنْ،* و *فَعُولٌ فَعُلٍ.*

هذا على المستوى النظري، أما على مستوى الاستعمال، فنسجل أن المقطع الثقيل المفتوح أكثر ورودا في شعر الفحول من نظيره المغلق في آخر القافية، ذلك أن النواة المقطعية للأول حركة طويلة، و بما الحركات هي التي تحمل الغناء والإنشاد، اطرده ظهور المقطع الثقيل المفتوح في أواخر القوافي في شعر الفحول، الذين ركبوا القوافي المطلقة، أو المفتوحة التي تنتهي بـ: [س ح ح] أكثر من ركبهم للقوافي المقيدة، أو المغلقة التي تنتهي بـ: [س ح س]. وسيؤكد لنا هذا التصور عند وقوفنا على الشواهد الشعرية الواردة في أوزان قوافي المتدارك والمتواتر والمترادف.

3. البناء المقطعي لقافية المتدارك:

قال الأخفش: " وللمتدارك ستُّ قواف، وذلك كل قافية توالى فيها حرفان متحركان بين ساكنين، وهي: ^مفَاعِلُنْ، ^مسْتَفْعِلُنْ، ^مفَاعِلُنْ، ^مفَاعِلُنْ، و ^مفَعْلٌ، إذا اعتمد على حرف ساكن، نحو: ^مفَعُولُنْ فَعْلٌ، اللام من فَعْلٌ ساكنة، والنون من فَعُولُنْ ساكنة، وإذا اعتمد على حرف متحرك، نحو: ^مفَعُولٌ فَعْلٌ، اللام من فَعْلٌ ساكنة، والواو من فَعُولٌ ساكنة." 22

بينما فيما تقدم، أن المتكاوس من القوافي، هو كل قافية يقع فيها ثلاثة مقاطع خفيفة بين مقطعين ثقيلين، وأن المتراكب منها يتمثل في كل قافية فيها مقطعان خفيفان بين مقطعين ثقيلين، أما المتدارك من القوافي، فيتقلص فيه ما يفصل بين المقطعين الثقيلين إلى مقطع خفيف واحد، كما سنبين ذلك من خلال تحليلنا المقطعي للأوزان التي استشهد بها الأخفش على هذا الصنف من القوافي في الشعر العربي. وقافية المتراكب تظهر إما في أجزاء مفردة أو في أجزاء مركبة على هذا النحو:

3. 1. قافية المتدارك في الأوزان المفردة:

الأوزان المفردة التي تأتي عليها قافية المتراكب أربعة هي: ^ممَفَاعِلُنْ، ^ممَسْتَفْعِلُنْ، ^مفَاعِلُنْ، ^مفَاعِلُنْ، وفي كل وزن تتشكل القافية من مقطعين ثقيلين، يفصل بينهما مقطع خفيف واحد، كما يتضح ذلك في هذا التحليل للبناء المقطعي لكل جزء:

3. 1. 1. قافية المتدارك في: ^ممَفَاعِلُنْ.

الوزن : ^ممَفَاعِلُنْ

- البناء العروضي : # م ت ف ع ل ن # #
 البناء المقطعي : # س ح س ح س ح س ح س ح س ح س ح # #
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

ومن شواهد هذا النوع من قافية المتدارك، هذا البيت من معلقة عنتره:²³

وَإِذَا صَوَّتْ فَمَا أَقْصَعَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمَتْ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي

فهذا البيت من الكامل، وقد جاءت أجزاءه الستة سالمة من الزحاف والعلل، بما في ذلك الجزء الوارد في الضرب، الذي قافيته من المتدارك، ويمكن أن نمثل لبنائها العروضي والمقطعي على هذا النحو:

- البناء العروضي : # و ت ك ر ر م م # #
 البناء المقطعي : # س ح س ح س ح س ح س ح س ح س ح # #
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

ويبقى أن نشير، أن المقطع الثقيل الأول في البناء العروضي ل: متفاعلن، ثقيل مفتوح، ولكنه جاء هنا مغلقا، كما أن المقطع الثاني في هذا البناء ثقيل مغلق، وقد جاء في قافية هذا البيت ثقيلًا مفتوحًا، وتفسير ذلك صوتيًا، يعود إلى أن شكلي المقطع الثقيل: /س ح س/ و/س ح ح/ متكافئان عروضيًا (prosodically equivalent) في الصوارة التطريزية،²⁴ يدل على ذلك تناوبهما في القوافي المقيدة والمطلقة دون أن ينكسر الوزن. يضاف إلى هذا أن الياء المكسور ما قبلها في كلمة: تَكْرُمِي، هي حرف مد، يحتل موضع الساكن في السبب الخفيف في التقطيع العروضي التقليدي.

2.1.3. قافية المتدارك في: مُسْتَفْعِنٌ.

- الوزن : مُسْتَفْعِنٌ
 البناء العروضي : # م س ت ف ع ل ن # #
 البناء المقطعي : # س ح س ح س ح س ح س ح س ح س ح # #
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

وشاهد قافية المتدارك في هذا السياق، قول الشاعر:²⁵

²³ الكافي في العروض والقوافي (ص. 58).

²⁴ انظر على سبيل المثال: Clements and keyser (1983) : CV PHONOLOGY, A Generative Theory of the Syllable, p. 7-8 .

²⁵ التبريزي، الكافي في العروض والقوافي (ص، 41).

ماذا وقوفي على ربيع خلا مخلول ق دارس مستعجم

البيت من مجزوء البسيط، والضرب فيه على وزن: مستفععلن، والبناء العروضي والمقطعي لقافية المتدارك في هذا البيت، يمكن أن تمثل لها كالتالي:

البناء العروضي : # م ؤ س [ت - ع ج - م - # #]
 البناء المقطعي : # س ح س . [س ح س . س ح س ح ح # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

2.1.3. قافية المتدارك في: مفاعِلُن.

الوزن : فاعِلُن
 البناء العروضي : # م - ف - ع - ل - ن # #
 البناء المقطعي : # س ح . [س ح ح . س ح س ح س # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

ومن شواهد هذه القافية، قول الشاعر:²⁶

لَعْرَكٌ مَا أُدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَيَّ نَاعِدُو الْمَنِيَّةِ أَوَّلُ

فالبيت من الطويل، جاء ضربه مقبوضاً، وقافيته لها البناء العروضي والمقطعي التالي:

البناء العروضي : # ت ؤ [ء - و - ل - ؤ # #]
 البناء المقطعي : # س ح . [س ح س . س ح س ح ح # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

ويبقى أن نشير، أن مفاعيلن الوارد في ضرب البحر الطويل، اطرده في شعر الفحول قبضه، أي تخفيف مقطعه الثقيل الثاني، ليحصل في هذا الجزء إيقاع شعري فيه تناوب²⁷ (alternance) في الثقل والخفة بين مقاطعه الأربعة. فحسب ستانسلاس (1878) Stanislas، في الشعر العربي، يقتضي

²⁶ كتاب القوافي للإربلي (ص. 95)، ورواية خزانة الأدب (505/6): فَوَ اللَّهُ مَا أُدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةِ أَوَّلُ

²⁷ وللمزيد من التفاصيل عن هذا الإيقاع الأمتل في الشعر العربي، انظر مقالاً لنا في الموضوع تحت عنوان: "الإيقاع في الشعر العربي ومبدأ المحيط الإجمالي"، بحث منشور في كتاب "اللغة والأدب والثقافة: التمثلات والمقاربات"، منشورات جامعة مولاي

إسماعيل، المدرسة العليا للأساتذة بمكناس، سلسلة ندوات 1، أبريل 2018.

قانون الإيقاع²⁸ (la loi du rythme)، أنه عندما يتتابع ثلاثة مقاطع ثقيلة في جزء عروضي، فلا بد من تخفيف المقطع الذي يوجد في الوسط، كما في قبض: مفاعيلن، وإذا تتابع مقطعان ثقيلان، يفترض وجود مقطع خفيف بينهما، كما في: فاعلن الذي ورد في الشعر العربي غير مقبوض²⁹، لأن في بنائه المقطعي مقطعان ثقيلان يتوسطهما مقطع خفيف، أما إذا تتابع مقطعان ثقيلان دون أن يفصل بينهما مقطع خفيف، فلا بد من تخفيف أحدهما، وهذه حال فعُولُن، الذي يخفف مقطعه الثقيل الثاني،³⁰ ليحصل في بنائه المقطعي التناوب بدل التجاور. فقيض نَعْفُ وُلُن وعدم قيص: فاعلُن، دليل على أن الفحل من الشعراء، لا يعتمد السقوط في زحاف ما، وإنما تسقطه في ذلك ملكته الشعرية، للحصول على الإيقاع الأمثل في الشعر العربي.

4.1.3. قافية المتدارك في: فاعلُن.

الوزن	:	فاعلُن
البناء العروضي	:	# ف _ _ ع _ ل _ ن # #
البناء المقطعي	:	[س ح ح . . س ح س ح س # #]
القافية	:	[ث . خ . ث . # #]

السياق الرابع لقافية المتدارك في الأجزاء المفردة جاء في الوزن: فاعلن، حيث جاء المقطع الخفيف بين مقطعين ثقيلين، الأول مفتوح والثاني مغلق، ومن الشواهد الشعرية لهذه القافية قول امرئ القيس:³¹

يادار ماويّة بالحائلِ فالسَّهْبُ فالحُجْبَتَيْنِ من عاقِلِ

فالبيت من السريع، جاء فيه الضرب مطويا مكشوفاً³² على وزن: فاعلُن، حيث تبدأ قافية المتدارك بمقطع ثقيل مفتوح، وتنتهي بآخر مغلق، وهو ما يمكن أن تمثل له كالتالي:

البناء العروضي : # ع _ _ ق _ ل _ _ # #

²⁸ انظر كتابه: *Théorie Nouvelle de la Métrique Arabe*, p.51.

²⁹ بل جاء هذا الجزء محبونا ومقطوعا فقط، انظر القسطاس للزمخشري (ص. 32-33).

³⁰ وهذا هو زحاف القبض في هذا الجزء كما جاء في القسطاس للزمخشري (ص. 31).

³¹ القصيدة 56 في ديوانه (ص. 133).

³² أما الطي فقاعدة صوتية تخفف المقطع الثقيل الثاني من: مفعولاتُ ليصبح: نَعْعُ لَاتُ، وأما الكشف فحذف مقطعه الخفيف، ليصير: مفعلاً، ثم ينقل إلى الوزن: فاعلن.

البناء المقطعي : [س ح ح ..س ح.س ح ح # #]

القافية : [ث . خ . ث . # #]

3. 2. قافية المتدارك في الأوزان المفردة:

حسب كلام الأخفش الوارد أعلاه، هناك قافيان في الأوزان المركبة لقافية المتدارك، الأولى هي: فَعَوْلُنْ فَعْلٌ حيث تتشكل القافية من مقطعين ثقيلين، الأول هو الذي ينتهي به الوزن الأول، أي: (لُنْ)، والثاني هو الذي ينتهي به الوزن الأخير، أي (عَلْ). و بين المقطعين الثقيلين مقطع خفيف واحد هو: (فَ). والقافية الثانية هي: فَعَوْلُ فَعْلٌ، حيث تبدأ القافية من المقطع الثقيل (عُ و)، وتنتهي بمقطع ثقيل آخر هو: (فَلْ)، وبين المقطعين الثقيلين مقطع خفيف واحد هو (لُ)، ويمكن أن تمثل لهاتين القافيتين من القوافي الست للمتدارك على هذا النحو:

3. 2. 1. قافية المتدارك في فَعْعُ وُلُنْ # فَعْلٌ.

الوزن : فَعَوْلُنْ فَعْلٌ

البناء العروضي: # ف _ ع _ ل _ ن # ف _ ع _ ل # #

البناء المقطعي [س ح ح.س ح ح.س ح.س ح.س ح # #]

القافية : [ث . خ . ث . # #]

ومن شواهد هذه القافية في شعر الفحول، قول امرئ القيس:³³

تَطَاوَلُ لَيْلًا بِالْأَثْمِ دُ وَنَامَ الْخَلْدَ حَيٌّْ وَلَمْ تَرْقُدِ

البيت من المتقارب ،حذف السبب الخفيف الأخير من ضربه، فصار إلى فَعْلٌ، وبعبارة أخرى تجاوز فيه مقطعان ثقيلان، فحذف الأخير للحصول على إيقاع فيه تناوب بين مقطع خفيف بعده آخر ثقيل، على هذا النحو:

البناء العروضي: # ف _ ع _ ل _ ن # ق _ د _ _ # #

البناء المقطعي [س ح ح.س ح ح.س ح.س ح.س ح # #]

القافية : [ث . خ . ث . # #]

3. 2. 2. قافية المتدارك في فَعْعُ وُلْ # فَعْلٌ.

الوزن : فَعَوْلُ فَعْلٌ

³³ القصيدة 13 في ديوانه (ص. 53).

البناء العروضي : # ف _ ع _ ل _ # ف _ ل # #

البناء المقطعي : س ح . [س ح ح . س ح # س ح س # #]

القافية : [ث . خ . ث . # #]

ومما استشهد به العروضيون على هذا السياق لقافية المتدارك قول الشاعر:³⁴

قَدْ قَالَ لِي عَادِلِي قَوْلًا عَدِمَتْهُ

فهذا البيت من المتقارب، وقد جاء ضربه مبتورا "ووزنه فَلَ، والأبتر ماسكن وتده وسكن متحركه، وقد سقط من آخره سبب، كَفَلَ في المتقارب" ³⁵ أي أن فعولن حذف مقطعه الثقيل الأخير، فيقي منه: فَعُو، ثم خفف المقطع الثقيل لهذا الأخير، فصار: فَعُع، ثم حذفت ضمة العين ليصبح: فَعَع، وليس: فَعَل، كما زعم التبريزي.³⁶ أما فعولن الواقع قبل الضرب المبتور، فجاء مقبوضا على وزن فعولن، وإنما قبض ليحصل تناوب في الحفة والثقل في البناء المقطعي لَفَعُو لَفَعُو لَفَعُو، كالتالي:

البناء العروضي : # ف _ [ع _ ل _ # ف _ ل # #]

البناء المقطعي : س ح [س ح ح . س ح # س ح س # #]

القافية : [ث . خ . ث . # #]

ويتضح مما تقدم، أن قافية المتدارك، هي كل قافية تبدأ بمقطع ثقيل وتنتهي بآخر، بينهما مقطع خفيف واحد، و أن هذه القافية تظهر سواء في نفس الوزن، كما هو الأمر في: مُفَاعَلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، فَاعِلُنْ، فَاعِلُنْ، أو بين وزنين متتالين كما هو الحال في: فَعُو لَفَعُو، حيث ينتهي الوزن الأول بمقطع ثقيل ويبدأ الثاني بخفيف، أو العكس، كما في فَعُو لَفَعُو. وبناء على تحليلنا العروضي والمقطعي للسياقات الستة التي تظهر فيها القافية في هذه الأوزان، يمكن أن نمثل لهذه القافية كالتالي:

البناء المقطعي لقافية المتدارك:

[# س ح س . س ح س . س ح س . # #]

[# س ح س . # س ح . س ح س . # #]

[# س ح س . س ح . # س ح س . # #]

[ث . خ . ث . # #]

³⁴ انظر التقطيع العروضي لهذا البيت في كتاب القوافي للإربلي، (ص. 96).

³⁵ التبريزي، الكافي في العروض والقوافي (ص. 132).

³⁶ جاء في الغامزة (ص. 216): "كان أصله فعولن، فحذف سببه، ثم قطع وتده فذهبت الواو، وسكنت عينه فبقي فَعَع."

3.3. قافية المتدارك المؤسسة.

حسب الأخفش، في قافية المتدارك، إذا كان المقطع الثقيل الذي تبدأ به القافية امفتوحا، وحركته فتحة طويلة (= ألف التأسيس)،³⁷ فإن هذه الأخيرة يجب أن تلتزم كل قوافي القصيدة، قال: "وأما التأسيس، فألف ساكنة دون حرف الروي بحرف متحرك، يكون بين حرف الروي وبينها، يلزم في ذاك الموضوع من القصيدة كلها."³⁸ فمن الشواهد الشعرية لهذا النوع من قافية المتدارك قول عمرو بن معد يكرب:³⁹

أعددت للحرب فضفاضة لاصاً تشي على الراش
تمتعت ذاك وكنت امرأ أصد عن الخلق الفاحش

هذا إذا بدأت القصيدة بقافية المتدارك بمقطع ثقيل مفتوح، نواته المقطعية فتحة طويلة، أي حركة من سماتها المميزة [+ سافل]، حيث اطرده في شعر الفحول تكرارها في كل القصيدة، وإذا كان المقطع الثقيل الأول مغلقا في قافية المتدارك في أول بيت في القصيدة، بحيث يكون للقافية البناء المقطعي [س ح س . س ح س . س ح س] ، وجب أن يكون كذلك في باقي القوافي، كما في قول امرئ القيس في معلقته:⁴⁰

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتدوِّح فالمقراة لم يهف رسمها لما نسجتها من جوب وشمأل

حيث همز الألف من كلمة: شمأل / ش _ م _ ل _ ي / ليستقيم له وزن قافية المتدارك التي يكون مقطعها الثقيل الأول مغلقا، على هذا النحو:

ح _ و _ م _ ل _ ي ش _ م _ ء _ ل _ ي
س ح س . س ح س . س ح س # # # س ح س . س ح س . س ح س
[##] ث . خ . ث [##] ث . خ . ث

³⁷ يسميها العروضيون "ألف التأسيس"، والواقع أن هذا المصطلح بني على المرسوم لا الملفوظ، وبما أن المعبر في الشعر هو الغناء والإنشاد، فإن الألف وفتحتها القصيرة تشكلان على المستوى المنطوق فتحة طويلة تمثل النواة المقطعية (noyau syllabique) للمقطع الثقيل المفتوح.

³⁸ كتاب القوافي (ص. 22).

³⁹ البيتان معا من الأصمعيات (ص. 177-178)، والبيت الأول هو مطلع القصيدة، والثاني وارد في آخرها، والأبيات التي بينهما كلها لها هذه القافية المؤسسة.

⁴⁰ ديوان امرئ القيس (ص. 110).

ومن شواهد ذلك أيضا قول رؤبة العجاج:

يادَارَ سَلْمَى يَا اسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى
بَسَمَسَمٍ أَوْ عَنِ يَمِينِ سَمَسَمٍ
فَخَنْدَفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ

فلما بدأ رجزه هذا بقافية المتدارك التي أولها مقطع ثقيل مغلق، همز ألف كلمة: العالم، ليخرج من عيب من عيوب القافية يسمى « سناد التأسيس » يقول عنه عبد القادر البغدادي " وهو أن يجيء بيت هُؤَسَس مع بيت غير هُؤَسَس. والتأسيس قبل حرف الروي بحرف يسمى الدخيل، كاللام في: العالم، بين الألف والميم."⁴¹ والمراد بالبيت المؤسس، الذي ينتهي بقافية المتدارك التي مقطعها الثقيل الأول مفتوح بفتحة طويلة، يسميها العروضيون، كما سبق « ألف التأسيس » ، أما البيت غير المؤسس فهو الذي تبدأ فيه القافية بمقطع ثقيل مغلق، و « الدخيل » هو المقطع الخفيف الذي يفصل بين المقطعين الثقيلين في قافية المتدارك، ويفهم من كلام البغدادي أنه لا يجوز تعاقب المقطع الثقيل المفتوح والمغلق في أول هذه القافية،⁴² وهذا ما يفسر همز الألف في: الْعَالَمِ في رجز العجاج، كما هو مبين في هذا التحليل المقطعي:

س ح س. س ح س. س ح س. س ح س. س ح س. س ح س ## # # س ح س ح ح ح ح ح
م — س — ل — م — م — س — م — م — ع — ل — م — م —

4. البناء المقطعي لقافية المتواتر.

قال الأخفش: " وللمتواتر سبع وذلك كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين، وهي: مَفَاعِلُنْ، فَاعِلَاتُنْ، فَعِلَاتُنْ، فَفَعُولُنْ، فَفَعُولُنْ، فَفَعُولُنْ، فَفَعُولُنْ، وفَلٌ إذا اعتمد على حرف ساكن، نحو: فَفَعُولُنْ فَلَ."⁴³ ويتبين من خلال الأوزان التي ذكرها الأخفش للقوافي السبع للمتواتر، أن الأمر يتعلق بكل قافية يتجاوز فيها مقطعان ثقيلان، وأن هذا النوع من القوافي، يظهر سواء في الأوزان المفردة أو الأوزان المركبة، وهو ما يمكن أن نمثل كالتالي:

⁴¹ شرح الشافية (428/4).

⁴² وسرئى أن هذا التناوب غير وارد في قافية المتواتر كذلك، وسنقدم تفسير صوتيا لذلك.

⁴³ الأخفش، كتاب القوافي (ص. 9).

4.1. الأوزان المفردة لقافية المتدارك.

هناك ستة أوزان مفردة لقافية المتواتر، هي على التوالي: فَهَاعِيْلُنْ، فَاعِلَاتُنْ، فَعَلَاتُنْ، فَهَعُولُنْ، فَهَعُولُنْ، فَهَعُولُنْ، وفي كل وزن تتشكل القافية من مقطعين ثقيلين متجاورين، كما سنبين في تحليلنا العروضي والمقطعي لكل وزن من هذه الأوزان:

4.1.1. قافية المتواتر في: فَهَاعِيْلُنْ.

الوزن :	فَهَاعِيْلُنْ
البناء العروضي:	# م _ ف _ ع _ ل _ ن # #
البناء المقطعي	# س ح . س ح ح [س ح ح س ح س # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

ومن شواهد هذا النوع الأول من قافية المتواتر ، قول طرفة بن العبد.⁴⁴

أبا هنرٍ كانت غروراً صَحيْفِي فلم أُعْطِكُمْ في الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عَرَضِي

فالبيت من الطويل، جاء سالم الضرب، ويمكن أن نمثل لقافيته على النحو التالي:⁴⁵

البناء العروضي	# [ع _ ر ض _ _ # #]
البناء المقطعي	[س ح س . س ح ح . # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

4.1.2. قافية المتواتر في: فَاعِلَاتُنْ.

الوزن :	فَاعِلَاتُنْ
البناء العروضي:	# ف _ ع _ ل _ ت _ ن # # #
البناء المقطعي	# س ح ح . س ح ح [س ح ح س ح س # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

وشاهد هذا النوع الثاني من قافية المتواتر، قول المهلهل:⁴⁶

يَا لَبَّ كَرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلياً يَا لَبَّ كَرٍ أَيِّنَ أَيِّنَ الْفِرَارِ

فالبيت من المديد، جاء ضربه سالماً ، ومقطعاها الثقيلان مفتوحان معاً، على هذا النحو:

⁴⁴ القسطاس، 70.

⁴⁵ جاء مقطعه الثقيل مغلقاً مفتوحاً، وقد بينا أن شكلي المقطع الثقيل والمفتوح متكافئان عروضياً.

⁴⁶ التبريزي، الكافي في العروض والقوافي (ص.31)..

البناء العروضي:	# ن _ ل ف _ [ر _ ر _ ر _ # # #]
البناء المقطعي	# س ح س .س ح [س ح .س ح س ح # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

3.1.4. قافية المتواتر في: فِلاَتُنْ.

الوزن :	فِلاَتُنْ
البناء العروضي:	# ف _ ع _ ل _ ت _ ن # # #
البناء المقطعي	# س ح .س ح . [س ح .س ح س ح # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

وشاهد النوع الثالث من قافية المتواتر، قول الأخطل:⁴⁷

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيلُكَ عَنْهُنَّ خَبَالًا

فالبيت من الكامل، وضربه جاء مقطوعاً، أي حذف من مقطعه الثقيل الأخير [نْ]، فبقي: ⁴⁷مَ فاعِلٌ فرد إلى عِفْلَاتُنْ، أو على حد تعبير الدماميني: "كانت مَ فاعِلُنْ، فقطع فصار مَ فاعِلٌ، فنقل إلى عِفْلَاتُنْ".⁴¹ وقافية هذا البيت يمكن أن تمثل لها على النحو التالي:

البناء العروضي:	# ن _ خ _ [ب _ ل _ ل _ # # #]
البناء المقطعي	# س ح .س ح . [س ح .س ح خ # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

4.1.4. قافية المتواتر في: فَعُ وُلُنْ.

الوزن :	فَعُ وُلُنْ
البناء العروضي:	# م _ ف _ ع _ ل _ ن # #
البناء المقطعي	# س ح س . [س ح .س ح س ح # #]
القافية :	[ث . ث . # #]

⁴⁷ الدماميني، الغامزة (ص. 171).

شاهد النوع الرابع من قافية المتواتر في الأوزان المفردة ، قول الأخطل: ⁴⁸:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذُخْرًا يكون كصالح الأعمال.

فهذا البيت من البحر الكامل، جاء ضربه مضمرًا مقطوعًا، فأما الإضمار فهو حذف حركة المقطع الخفيف الثاني ليصير: مُفَاعَلُنْ، وأما القطع فهو حذف [ن] من مقطعه الثقيل الأخير فيصبح: مُفَاعَلْ، فيرد إلى بُفَعُ وُلُنْ. ⁴⁹ ويمكن أن تمثل عروضيا ومقطعيًا لقافية المتواتر في هذا البيت كالتالي:

البناء العروضي: # _ ع _ م _ _ ل _ _ # #

البناء المقطعي # س ح س . [س ح ح س ح س # #

القافية : [ث . ث . # #]

5.1.4. قافية المتواتر في فَعُ وُلُنْ.

الوزن : فَعُ وُلُنْ

البناء العروضي: # _ ف _ ع _ _ ل _ _ ن # #

البناء المقطعي # س ح . [س ح ح س ح س # #

القافية : [ث . ث . # #]

شاهد النوع الخامس من قافية المتواتر في الأوزان المفردة، قول شاعر مجهول: ⁵⁰:

فقلتُ وقلّ ذلك لهن مني سقى بلدًا حللن به القطار

فالبيت من الوافر، وضربه مقطوف مثل عروضه، " والمقطوف ما سقط من آخره زنة سبب خفيف، بعد سكون خامسه" ⁵¹ أي أن القطف في: مُفَاعَلَتُنْ، هو حذف مقطعه الثقيل الأخير، فيصبح: مُفَاعَلْ، بالإضافة إلى حذف حركة مقطعه الخفيف الثالث، ليصبح: مُفَاعَلْ، فينقل إلى الوزن: فَعُ وُلُنْ، ومن تم يمكن أن تمثل لقافية المتواتر الواردة في هذا البيت على النحو التالي:

البناء العروضي: # _ ق _ ط _ _ ر _ _ # # #

⁴⁸ التبريزي، الكافي في العروض والقوافي (ص. 69).

⁴⁹ انظر ماجاء عن الإضمار والقطع في: مُفَاعَلُنْ، في الكافي في العروض والقوافي (ص. 64-65). والغامزة (ص. 175-176).

⁵⁰ ابن القطاع، البارع في علم العروض (ص. 122).

⁵¹ الكافي في العروض والقوافي (ص. 51).

البناء المقطعي # س ح . [س ح . س ح ح # #] #
القافية : [ث . ث . # #]

6.1.4. قافية المتواتر في فَعَّ لُنْ.

الوزن : فَعَّ لُنْ

البناء العروضي: # ف _ ع ل _ ن # #

البناء المقطعي [س ح . س . س ح س # #]

القافية : [ث . ث . # #]

شاهد هذا النوع السادس والأخير من قافية المتواتر في الأوزان المفردة، قول امرئ القيس:⁵²

قد أشهد الغارة الشَّوَاءَ نَحْمَلِي جَدَاءَ مَعْرُوقَةَ اللَّحِيْنِ سَرْحُوبُ

البيت من البحر البسيط، جاء ضربه مقطوعاً، أي حذف تنوينه [ن ن]، فصار: فاعل، فنقل إلى: فَعَّ لُنْ، ويمكن أن تمثل لقافيته كالتالي:

البناء العروضي: # ح _ ب _ ب _ # #

البناء المقطعي [س ح . س ح ح # #]

القافية : [ث . ث . # #]

2.4. قافية المتواتر في الأوزان المركبة.

حسب كلام الأخفش الوارد أعلاه، هناك قافية واحدة واردة بين الوزنين، فَعَوَّلُنْ # فَلَ، حيث يتجاوز المقطع الثقيل الذي ينتهي به الوزن الأول، أي: (لُنْ)، والمقطع الثقيل الوارد في الوزن: (فَلَ)، كما في هذا التحليل العروضي و المقطعي لهذه القافية:

1.2.4. قافية المتواتر في فَعَّ وُلْنُ # فَلَ.

الوزن : فَعَوَّلُنْ فَلَ

البناء العروضي : # ف _ ع _ ل _ ن # ف _ ل # #

⁵² ابن القطاع، البارع في علم العروض (ص. 112).

البناء المقطعي : # س ح . س ح . [س ح س . # س ح س #]

القافية : [ث . ث . #]

شاهد هذا النوع السابع والأخير من أوزان قافية المتواتر، قول شاعر مجهول:⁵³

خَلَّتْ مِنْ سُلَيْمَى وَمِنْ مَيْهٍ خَلِيلِي عَوْجَا عَلَى رَسْمِ دَارِ

هذا البيت من البحر المتقارب، جاء أبتَر الضرب، ومعنى البتر في: فَعَوَّلُنْ [ف _ ع _ ل _ ن] حذف الضمة الطويلة من المقطع الثقيل المفتوح، فيصبح: [ف _ ع _ ل _ ن]، ثم يحذف المقطع الثقيل الأخير منه، ليصير إلى: [ف _ ع]، وليس إلى: فل، كما زعم الكثير من العروضيين القدماء، ومن هؤلاء التبريزي الذي قال: " والأبتَر ما سقط ساكُن وتده، وسكُن متحرُّك، وقد سقط من آخره سبب، كفل في المتقارب." ⁵⁴ وبناء على ما وقع لفعولن من تغييرات ليستقر على: فَع، يمكن أن نمثل لقافيته الواردة في البيت المذكور أعلاه كالتالي:

البناء العروضي : # و _ م _ ن [م _ ي # ي _ ه #]

البناء المقطعي : # س ح . س ح . [س ح س . # س ح س #]

القافية : [ث . ث . #]

ويتبين من خلال تحليلنا المقطعي لأوزان قوافي المتواتر، أن هذه القافية تتكون من مقطعين ثقيلين متجاورين، الثاني منهما ثقيل مغلق في كل الأوزان، بينما الأول ثقيل مفتوح في خمسة أوزان هي على التوالي: مفاعيلن: [س ح ح . س ح س]، وفاعلاتن: [س ح ح . س ح س] وفَعَلَاتن: [س ح ح . س ح س] ، ومفعولن: [س ح ح . س ح س]، وفعولن: [س ح ح . س ح س]. وجاء المقطع الأول في هذه القافية ثقيلًا مغلقًا في وزن مفرد واحد هو فَعَطُن: [س ح س . س ح س]. وفي الوزن المركب الوحيد في هذه القافية، أي: فَعَوَّلُنْ فَع: [س ح س . س ح س]. وبناء على هذا، يمكن أن نمثل للبناء المقطعي لقافية المتواتر على هذا النحو:

البناء المقطعي لقافية المتواتر:

[# س ح س . س ح س #]

[س ح ج . # س ح س #]

[ث . ث . #]

⁵³ البارع في علم العروض (ص. 203).

⁵⁴ الكافي في العروض والقوافي (ص. 131).

هذا على المستوى النظري، أما على مستوى الاستعمال، أي ما وصلنا من الفحول من شعر على هذه القافية، فإننا نسجل وروداً أكثر للمقطع الثقيل المفتوح في أولها، خاصة الذي تكون حركته فتحة طويلة، أي: [سَ -]، وقد سجل العروضيون العرب القدامى هذا الاطراد، فسموا قافية المتواتر التي تبدأ بهذا المقطع « قافية مؤسسة » نسبة إلى الألف الذي يكون مدّة للفتحة الطويلة في نحو: طَالِبٌ، كَاتِبٌ، ضَارِبٌ. فإذا ظهر هذا المقطع في أول بيت من القصيدة، لزم كل أبياتها، فمن أمثلة ذلك قول أوس بن خلفاء الهُجيمي: ⁵⁵

جَلْبُنَا الحَيْلِ مِنْ جَبِي أَرِيكَ	إِلَى أَجَأٍ إِلَى ضَلَعِ الرَّجَامِ
بَكُفِّهِ قِي الجِرْدَانِ مَجْرٍ	شَدِيدِ الأَسْرِ للأَعْدَاءِ حَامِ
أَصْبَا مَا مِنْ أَصْبَدْتُمْ فِتْمَا	عَلَى أَهْلِ الشَّرِيفِ إِلَى شَمَامِ

هذا إذا كانت حركة المقطع الأول من قافية المتواتر حركة سافلة، أي: فتحة طويلة، أما إذا كانت حركة عالية، أي: ضمة طويلة أو كسرة طويلة، جاز تناوبهما، فمن ذلك مثلاً قول عبد قيس بن خُفاف: ⁵⁶

صَوْتُ وَزَايَلِنِي بِأَطَلِي	لَعَمْرُأَبَيْكَ زِيَالًا طَوِيلًا
وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّاءِ بَا	تِ عَرَضًا بِرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلًا

ومن ذلك أيضا تناوب الضمة الطويلة والكسرة الطويلة في قول المهلهل بن ربيعة: ⁵⁷

بِیَوْمِ الشُّعْمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا	وَكَيْفَ لَقَاءُ مَنْ تَحْتَلَقَبُ رُورِ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ	يُجْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ العَبِيرِ
وَهَمَّامِ بْنِ مَرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا	عَلَيْهِ القَشْعَمَانِ مِنَ التُّسُورِ

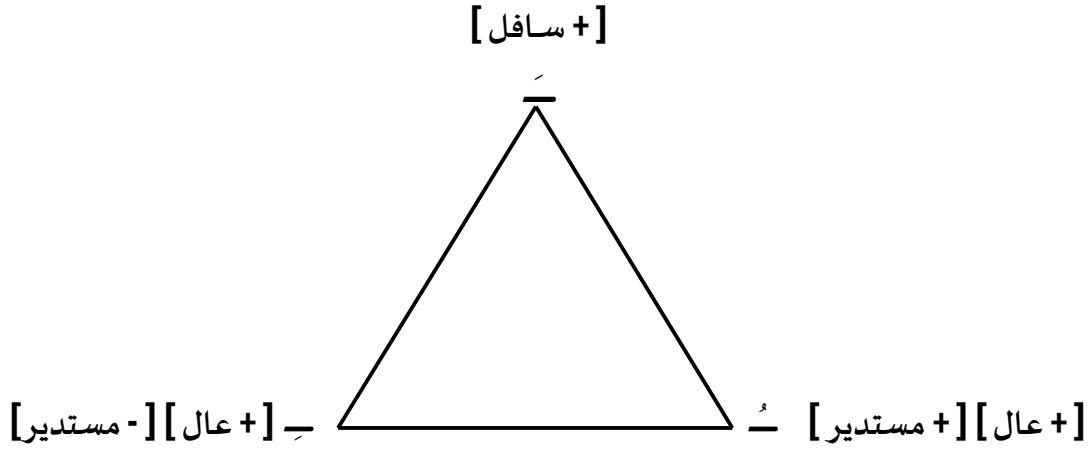
ويمكن أن نفسر صوتيات هذا القيد الصوتي الموضوع على المقطع الثقيل الأول، سواء في قافية المتدارك، أو هنا في قافية المتواتر، أن في النسق الصائتي للغة العربية ثلاث حركات فقط، الفتحة، قصيرة كانت أو طويلة، وهي حركة سافلة، لا يرتفع معها اللسان تجاه الحنك الأعلى، بل يبقى سافلاً في قعر تجويف الفم، وهناك حركتان عاليتان يرتفع معهما اللسان، هما الضمة والكسرة، سواء

⁵⁵ الأَصْمَعِيَاتِ (ص. 232).

⁵⁶ نفسه (ص. 231).

⁵⁷ نفسه (ص. 155).

كانتا قصيرتين أو طويلتين، ولا يفرق بين هاتين الحركتين سوى استدارة الشفتين مع الضمة، وعدم استدارتهما مع الكسرة، ويمكن أن تمثل للسّمات المميّزة لهذه الحركات على هذا النحو التالي:



فانفراد الفتحة الطويلة بهذه الخاصية النطقية، أي سفول اللسان معها في تجويف الفم، هو الذي يفسر عدم تناوبها والحركتين العاليتين، أي الضمة الطويلة والكسرة القصيرة، في المقطع الثقيل المفتوح الذي تبدأ به القافية، سواء في قافية المتدارك أو قافية المتواتر، وإذا وقعت هذه الفتحة الطويلة في المقطع الثقيل الأخير للقافية، أو ما يسمى «المجرى» في اصطلاح العروضيين، لزمّت هذه الفتحة الطويلة كل قوافي القصيدة، كما في قول بَشامة بن عمرو:⁵⁸

هَجَرَتْ أَمَامَةً هَجْرًا طَوِيلًا	وَحَمَلَكِ النَّأْيُ عَجْنًا ثَقِيلًا
فَقَرَّبَتْ لِلرَّجُلِ عَيْرَانَةً	عُذَافِرَةً عَتَدَرِيْسًا ذَمُولًا
كَتُوبِ ابْنِ بَيْضٍ وَقَاهِمِ بِهِ	فَسَدَّ عَلَى السَّالِكِينَ السَّبِيلَا

فقافية هذه القصيدة من النوع المتواتر الذي يتجاوز فيه مقطعان ثقيلان، وقد جاء المقطع الثقيل الثاني مفتوحا بفتحة طويلة في كل أبيات القصيدة التي تتكون من 37 بيتا، وجاء المقطع الثقيل الأول مفتوحا بضمة طويلة 13 مرة في قوافي القصيدة، وبكسرة طويلة 24 مرة فيها، لأن الضمة أثقل من الكسرة، لاستدارة الشفتين مع الأولى، وعدم استدارتهما مع الثانية.